

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(119) (قَالَوَا حَرِّ قُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ *
قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ
كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِذْ لِيَ الْأَرْضِ الَّتِي
بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ *) (1)، وغادر إبراهيم العراق إلى فلسطين، وبلي هناك
بالهجرة إلى مصر، وأخرى إلى حيث وضع ولده وزوجته عند بيت الحرام، وهنا فوجيء
بالأمتحان القاسي بذبح ولده - وهو اسماعيل في أشهر الروايات - على سبيل الإيحاء الآلهي في
المنام: (فَلَمَّآ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤِيَّ إِنِّي أَرَى فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَآ وَتَلَّآهُ
لِلْجَبِينِ * وَزَادَ يَنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِن هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ وَالْمُبْتَلِينَ * وَفَدَّ يَنَاهُ
بِذَبْحِ عَظِيمٍ *) (2). فكان من الأب أن امتثل الأمر المولوي، وكان من الأبن أن استجاب
لهذا الأمر بطلب فعله، وتدارك الحرام، وشكر لهما صنعهما، ونوّه بذكرهما، وإعتبرهما من
المحسنين المستحقين للجزاء والثواب، على هذا البلاء والامتحان، وفداه بذبح عظيم. ولم يزل
إبراهيم عليه السلام مناراً في الاختبار السرمدي، وهو في أواخر حياته، وقد من الله عليه
بالذرية، فذكر الله على ذلك وحمده: (رَبِّ بَشِّرْنَا بِغُفْرَانٍ وَلَوْ أَلَدْنَا
وَلَلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ *) (3). وكان إبراهيم عبداً منيباً، ورجلاً
كريماً سمحاً، وممثلاً لأوامر الله تعالى ينفذها حرفياً، فأقام القواعد من البيت يساعده
عليه اسماعيل، واستقبل الأضياف، وحاجج الملائكة في قضية قوم لوط، ودعا إلى الله بكل ما
استطاع، وقابل الهجرتين وسواهما بقلب سليم، ودعا إلى الله وأتاب إليه، كل ذلك مما لا شك فيه،
وعليه طواهر الكتاب، والذي يبدو أنه أختبر من قبل الله تعالى أواخر أيامه بكلمات فأتهمهن:

(وَإِذْآ اِبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ _____ (1) الأنبياء: 68 - 71. (2)

الصفات: 102 - 107. (3) إبراهيم: 39.